

الاعتدال في تقويم الرجال (ابن تيمية نموذجا)

==

(1)

شيخ الإسلام (تقي الدين ابن تيمية) شخصية عظيمة ، ظُلم من محبيه ومناوئيه ، حين حصره الفريقان في دائرة ضيقة من قضايا العقيدة (الأسماء والصفات) ، والنظر إليه من خلالها دون سواها ، وكل ما ينسب إليه مما يدور حوله الجدل يعد من قبيل ما يصح فيه الاجتهاد ، وهو قد بلغ تلك الرتبة يقينا!

يقول الإمام عبد الوهاب السبكي ابن شيخ الاسلام تقي الدين: ((وأما الحافظ أبو الحجاج المزي فلم يكتب بخطه لفظة شيخ الإسلام إلا له _أي والده شيخ الإسلام السبكي_ وللشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وللشيخ شمس الدين ابن أبي عمر))^(١) أ.هـ.

والإمام بدر الدين العيني الحنفي الأشعري يقول في الثناء عليه ((العالم العلامة، الأوحد الرحلة، شيخ الإسلام، علم العلماء، قانع المبتدعة اللثام، فارس الأحكام بالإحكام))^(٢) أ.هـ.

(2)

كان المشروع التيمي يقوم على إعادة تأسيس علوم الإسلام جميعا ، وإخراجها من دائرة العقلية اليونانية التي كان يراها غريبة عن الروح العربية التي نزل بها القرآن..

وفي هذا الإطار أُلّف في نقض المنطق ، وقدم في ذلك إبداعا أصيلا عرض بعض جوانبه الدكتور النشار في كتابه الرائع (مناهج البحث عند مفكري الإسلام)

ودخل دهايز الفلسفة بتلك الروح فقبل ورد ، ونقد وفند وأحسن وانتقد.

وقدم في علم الكلام نقدا لما رآه دخيلا ، ولما رآه عودة إلى منهج السلف ، وعارضه كبار الأشاعرة في بعض ما قدم ، واتهمه بعضهم بالتجسيم ، وهو عنه بعيد ، وقد قال

لي أحد شيوخنا^(٣) _ وهو ليس تيمي الهوى: _

((ابن تيمية شيخ الإسلام شئنا أو أبينا ، وكل ما ينسب إلى ابن تيمية إنما هو من قبيل اللوازم))!

وفي الفقه: بالرغم من كونه حنبلياً فقد قدم اجتهادات وافقه عليها بعض الحنابلة وعارضه آخرون.

وفي أصول التفسير: كتب أحسن ما يكون مما غيره فيه عالة عليه.

وكل كتاباته كانت تُستمد من منهجه الذي يتغيا إعادة التأسيس ، بروح نقدية لا تخلو من جرأة ، وما أحسن ما قاله الشيخ محمد أبو زهرة ، حين قال:

((وما كانت آراؤه العلمية إلا دواء لأسقام عصره ، ولو فتشت عن البواعث التي بعثت ذلك العالم التقى على المجاهرة بآراء معينة لوجدت أن الذي بعث على هذه المجاهرة عيب في الزمان : في الفكر ، أو في العمل ، أو فيها معاً))^(٤)

(3)

ومع ذلك فحصر الإسلام في شخصه بحيث تكون اجتهاداته هي الإسلام أو هي الحق الذي لا باطل ورائه أو هي الصواب الذي لا خطأ فيه أو معه = تعصب مقيت ، لا يليق بمن يزعم محبته أو الانتماء إليه ؛ لأنه هو نفسه لم يفعل ذلك مع شيوخ عصره الذين عارضوه في تلك الاجتهادات ، وفيهم من هم أرسخ من الجبال الرواسي علما وعملا؛ فتعظيم ابن تيمية لعلماء عصره معلوم ، وكان تعظيمه لشيخ الإسلام تقي الدين السبكي إمام الدنيا في عصره أشد ، كما حكاه ابنه إذ يقول:

((وصح من طرق شتى عن الشيخ تقي الدين بن تيمية أنه كان لا يعظم أحدا من أهل العصر كتعظيمه له _ أي والده _ وأنه كان كثير الثناء على تصنيفه في الرد عليه ، وفي كتاب ابن تيمية الذي ألفه في الرد على الشيخ الإمام في رده عليه في مسألة الطلاق ،

[قال]: لقد برز هذا على أقرانه ، وهذا الرد الذي لابن تيمية على الوالد لم يقف عليه ولكن سمع به وأنا وقفت منه على مجلد ((^(٥) أ.هـ.

والشيخ الإمام تقي الدين السبكي قد ((رد على الشيخ أبي العباس ابن تيمية في مسألتني الطلاق والزيارة))^(٦)

والإمام العلامة المناظر محمد بن علي قاضي القضاة كمال الدين بن الزمكاني مع ثنائه المعلوم على ابن تيمية في غير موضع ((صنف الرد على ابن تيمية في مسألتني الطلاق والزيارة))^(٧)

وأما إمام الأصوليين في زمانه علي بن محمد علاء الدين الباجي والذي أخذ عنه الإمام تقي الدين السبكي الأصلين : أصول الدين وأصول الفقه ، والذي وصفه صاحب الطبقات بأنه : ((أعلم أهل الأرض بمذهب الأشعري في علم الكلام ، وكان هو بالقاهرة ، والهندي بالشام القائمين بنصرة الأشعري))^(٨) فقد قال عن علاقة ابن تيمية به: ((كان إليه مرجع المشكلات ومجالس المناظرات ولما رآه ابن تيمية عظمه ولم يجر بين يديه بلفظة فأخذ الشيخ علاء الدين يقول : تكلم نبحت معك، وابن تيمية يقول : مثلي لا يتكلم بين يديك ، أنا وظيفتي الاستفادة منك))^(٩) أ. هـ.

فرضي الله عن الجميع ، وألهمنا الرشاد والسداد .. ورزقنا وإياكم حسن الخلق وجميل الأدب!!..

=== الهوامش ===

- (١) طبقات الشافعية الكبرى : ١٠/١٩٥
- (٢) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٣٣
- (٣) هو الأستاذ الدكتور محمد سالم أبو عاصي أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر ، وكان مشرفا على الفقير في أطروحة التخصص/الماجستير

- (٤) ابن تيمية لأبى زهرة ص ١٠٢ ، وتاريخ المذاهب الإسلامية ، له ، ص ٦٣٦
- (٥) طبقات الشافعية: ١٠ / ١٩٤ ، ١٩٥
- (٦) طبقات الشافعية: ١٠ / ١٦٧
- (٧) طبقات الشافعية: ٩ / ١٩١
- (٨) طبقات الشافعية : ١٠ / ٣٤٠
- (٩) طبقات الشافعية: ١٠ / ٣٤٢